انفسهم ، وانتهى التحقيق معهم دون ان يعترفوا بالاتهامات التي قدمها العدو ضدهم . ومرة اخرى فان تجارب المنهارين انفسهم قد اكدت قدرتهم وقدرة غيرهم على الصمود بعد مراجعة انفسهم وبعد ان تبين لهم أن انهيارهم غير مبرر ، وان كل المبررات الذاتية المحفزة على الاعتراف في التحقيق لاقيمة لها ، بل انها من السذاجة بحيث تخجل صاحبها ، وانه كان في مقدورهم الصمود ، وان بعضهم عاد وسحب اعترافاته ونفى افاداته بعد ان تبين لهم ان اعترافاتهم قد الحقت ابشع الاضرار بهم وبثورتهم . كما ان تقديمهم للمعلومات يضعهم في مصاف العملاء الذين يقدمون المعلومات عن الثورة ، وانهم قد باعوا الثورة من اجل نجاتهم الشخصية التي تبين انها وهمية .

ولنتفهم الامكانيات الواقعية المتاحة جدا لتجنب الانهيار يمكننا ملاحظة الحالة عن قرب :

فالانهيار هو اسم الحالة التي يكون فيها المناضل قيد التحقيق ، في حالة انسجام وتعاون مع المحقق يأمره فيطيع ، يسأله فيجيب ، يصفعه ، فيجثوا على قدميه ممتهنا شخصيته ورجولته ، وعقائديته ، تالبا نفسه من مناضل في حالة صراع عنيد مع العدو قبل التحقيق ، من مناضل في حالة صراع عنيد مع العدو في بداية التحقيق الى زميل ، عبد ذليل ، يحترم السلطة والاحتلال بحجة انه في التحقيق ، وانه تعرض لتعذيب (وكأن الاخرين الذين يصمدون لا يتعرضون للتعذيب مثله) وان المحقق ضابط كبير ، او انه لم يسبق له ان اهين في حياته ولا يريد الاهانة (مدافعا بذلك عن كرامة مزيفة ومنحطة ادنى درجات الانحطاط) . وهو ايضا في حالة نسية متهاوية بحيث يعتبر تقديم سيجارة له او كرسي يجلس عليه عطية كبرى لابد ان يدفع ثمنها عشرات السنين يقضيها بين جدران السجون ، وعدد من رفاقه يشي بهم لرجل المخابرات ليكونوا ضحايا سيجارته ،واسرار هامة يتبرع بها لاجهزة المخابرات .

أن الكثير ممن أفرغوا ما في جعبتهم من معلومات واودعوا في السجون يعزون انهيارهم لاسباب تافهة (فالضرب القاسي هو من نصيب الجميع) كأن يقولوا بانهم اعترفوا بسبب حرمانهم من الجلوس مدة طويلة ، أو حرمانهم من التدخين ، أو لان المحقق وجه له اهانات تمس شرفه وعرضه وصونا للعرض ، قرر اباحة نفسه وتنظيمه وكل ما يعرف . واخرين قدموا ما لديهم بعد أن استحلفهم المحقق بالقرآن أو بدينهم وصلاتهم وصيامهم ، وبالتالي وخشيته من الحرام ، وبعدا عن الكذب الذي حرمه الله فتح كنوزه المغلقة . وبعضهم يعزي اعترافاته بعد ان هدده المحقق بجلب اخته ، أو امه أو زوجته أمام الغرباء ، والاتفه من كل ذلك أن بعض المعترفين قد ادلوا بما لديهم بعد أن طلب منهم المحقق أن يتعروا من ملابسهم ويكشفوا عوراتهم لهذه الاسباب وغيرها ارتضى هؤلاء لانفسهم ان يكونوا خدما للمخابرات على الاقل طوال فترة التحقيق وربما استمروا في ذلك . وبعدها قضاء ما تيسر من السنين في ظلمة السجون وما يتبع ذلك من اجراءات اخرى .

ان الانهيارات والاعترافات هي مأساة الحركة الوطنية الفلسطينية كلها وبكل فصائلها بدرجة من الدرجات ، وهي أقوى سلاح استخدمه واستثمره العدو في مكافحة وتقزيم وتحجيم الحركة الوطنية الفلسطينية . وكانت الانهيارات والاعترافات اللا محدودة سببا في ازدحام المعتقلات بالاف المناضلين ، والاحكام العالية التي نالوها والاجراءات القاسية التي اتخذت بحقهم وحق اهليهم ، وليس غريبا أن نجد في معتقلات العدو الصهيوني العشرات الذين اعتقلوا في فترة واحدة ، بل ومنظمات كفاحية باكملها (٢٠ ، ٤٠ ، وحتى ٦٠) انهارت كلها معا نتيجة انهيار فرد واحد أو بضعة افراد أو تسلسل الاعترافات من المعتقل الاول الذي يشي بخمسة آخرين، وبعض من الخمسة يشي بعشرة آخرين وهكذا حتى